

التوضيح

لشرح

الجامع الصحيح

تصنيف

سراج الدين أبي حفص عمر بن علي بن أحمد الأنصاري الشافعي

المعروف بابن الملقن

(٧٢٣ - ٨٠٤ هـ)

المجلد الثلاثون

تحقيق

دار الفلاح

للبحث العلمي وتحقيق التراث

بإشراف

جمعية فضائل

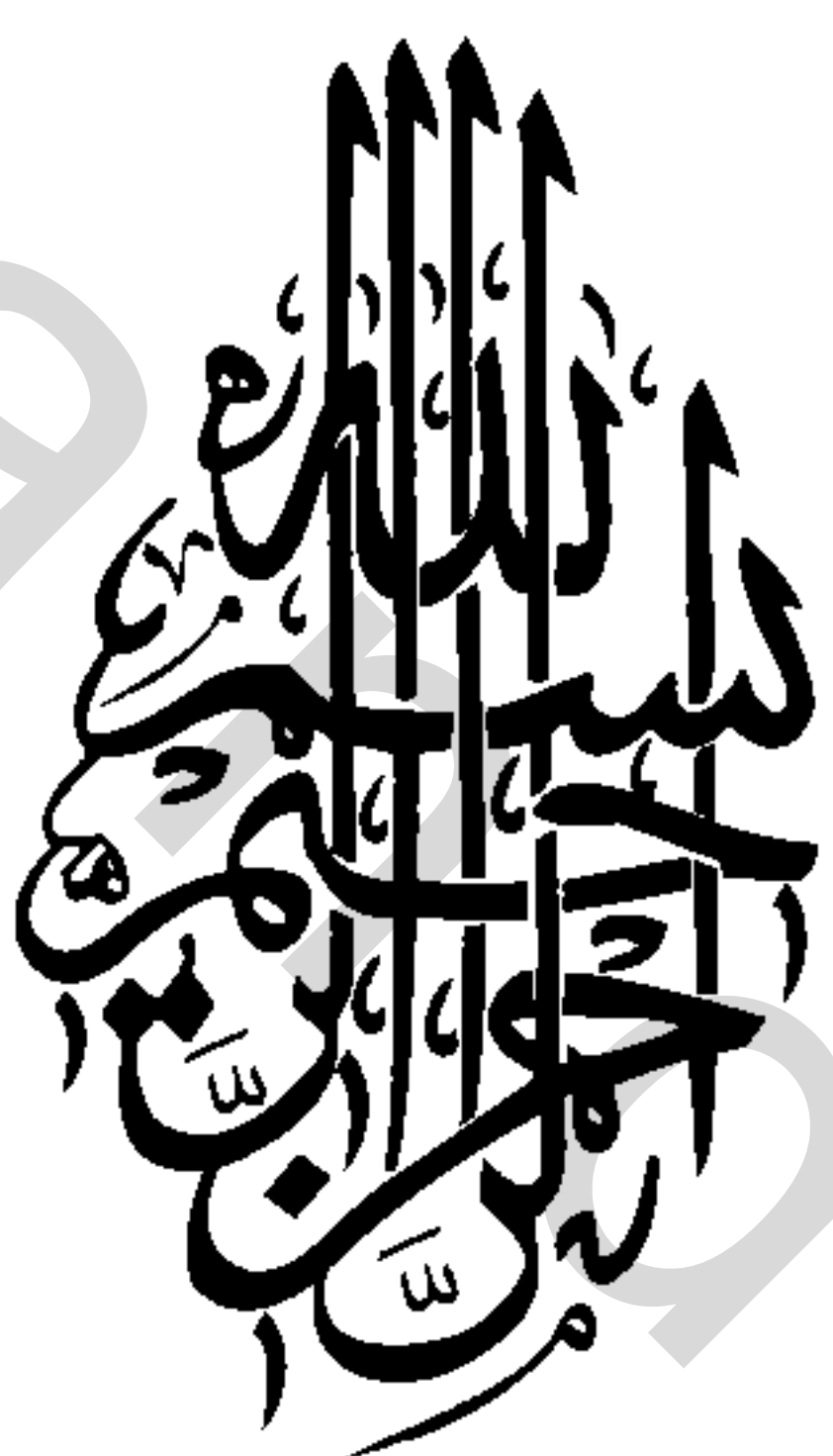
جمال الدين السبكي

تقديم

فضيلة الأستاذ الدكتور

أحمد عبد الكريم

أستاذ الحديث بجامعة الأزهر



التوضيح

obeykandali.com

حُقوقُ الطَّبْعِ مَحْفُوظَةٌ
لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
إدارة الشؤون الإسلامية
دولة قطر
الطبعة الأولى / ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م

قامت بعمليات الإخراج الفني والطباعة

دار النواذر
لصاحبها ومديرها العام
نور الدين طالب

سوريا - دمشق - ص.ب : ٢٤٣٠٦
لبنان - بيروت - ص.ب : ١٤/٥١٨٠
هاتف : (٠٢٢٢٧٠٠١) ١١ ٩٦٣ - فاكس : (٠٢٢٢٧٠٠١) ١١ ٩٦٣
www.daralnawader.com

فريق العمل في تحقيق واخراج
كِتَابُ التَّوْضِيحِ
في
دار الفلاح
الفيوم

بإشراف
خالد محمود الرباط
جمعة فتحي عبد الحليم

التحقيق والمقابلة والتعليق

وائل امام عبّ الفلاح	أحمد فوزي إبراهيم
حسام كمال توفيق	خالد مصطفى توفيق
عصام حمدي محمد	عبد الله أحمد فؤاد
ربيع محمد عوض الله	أحمد دروي عبد العظيم
أحمد عويس جنيّد	هاني رمضان هاشم

محمّد زكريّا يوسف - سامح محمد عبد - سعيد عزّت عبد
عادل أحمد محمود

obeykandl.com

بِأَقْ
كِتَابِ السَّيِّفِ

obeykandl.com

٤٤- بَابُ يَقْبِضُ اللَّهُ الْأَرْضَ

رَوَاهُ نَافِعٌ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ.

[انظر: ٧٤١٢]

٦٥١٩- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُقَاتِلٍ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ، أَخْبَرَنَا يُونُسُ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يَقْبِضُ اللَّهُ الْأَرْضَ وَيَطْوِي السَّمَاءَ بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ أَيَّنَ مُلُوك

السموات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟».

وفي حديث عبيد الله بن مقسم: أنه نظر إلى عبد الله بن عمر يحكي رسول الله ﷺ قال: «يأخذ سماواته وأرضيه بيديه، فيقول: أنا الله، ويقبض أصابعه ويبسطها، (فيقول: أنا الملك)»^(١) حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى الْمَنبَرِ يَتَحَرَّكُ مِنْ أَسْفَلِ حَتَّى أَقُولَ: أَسَاقُطُ هُوَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ^(٢). ثم ساق البخاري حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «يقبض الله الأرض، ويطوي السماء بيمينه، ثم يقول: أنا الملك، أين ملوك الأرض؟».

وحديث أبي سعيد الخدري رض

وقوله: (« كما يكفأ أحدكم خبزته في السفر ») يريد: خبزة الملة التي يصنعها في السفر؛ فإنها لا ترحى كالرقاقة، وإنما تقلب على الأيدي حتّى تستوي، قال ابن التين: كذا فسرّه الخطابي^(١)، وروينا السُّفر بضم السين على أنه جمع سفرة، قال الجوهري: السفرة بالضم: طعام يتخذه المسافر، ومنه سميت السفرة^(٢).

وقوله: (« يتكفؤها ») أي: يقلبها، ويميلها من كفأت الإناء: قلبته، ويقال أيضًا: أكتفت الإناء مثل كفأته، وقال الداودي: يصلحها بقوته لا يوصف تعالى بمماسة.

وقوله: (« ن

السن بين الناب والضرس^(١)، وقاله الداودي. وفي «الصحاح» وغيره: أنه أحد الأضراس، وللإنسان أربعة نواجذ في أقصى الأسنان بعد الأرحاء يقال: ضحك حَتَّى بدت نواجذه: إذا أَسْتغرب فيه^(٢).

وقوله: (ألا أخبرك بإدامهم)، الإدام: ما يؤتدم به، يقال: أدم الخبز باللحم يأدمه بالكسر، وقوله (إدامهم بالام ونون) قال الخطابي: كذا رَوَاهُ لَنَا بِالْبَاءِ الْمَعْجَمَةُ بِوَاحِدَةٍ. وكذا رويناه، قال: وتَأَمَّلْتُ النسخَ الْمَسْمُوعَةَ مِنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مِنْ طَرِيقِ حَمَادِ بْنِ شَاكِرٍ، وَإِبْرَاه

وقوله: (يأكل من زائدة كبدها سبعون ألفاً). زائدة الكبد: هي القطعة الصغيرة كالإصبع التي تكون في طرف الكبد.

قال الداودي: يعني أن ذلك أول ما يأكل أهل الجنة، يلعب الثور والحيات بين أيديهم، فيذكي الثور الحيات بقرنه، فيأكلون منه، ثم يعيده الله تعالى فيلتقيان قد ذكى الحيات الثور بذنبه؛ فيأكلون منه، ثم كذلك ما شاء الله، وفيه ترشيح لحديث: «سيد إدام الدنيا، والآخرة اللحم» وقال كعب فيما ذكره ابن المبارك: إن الله يقول لأهل الجنة إذا دخولها: إن لكل ضيف جزوراً وإني أجزرتكم اليوم حوتاً، وثوراً فيجزر لأهل الجنة^(١).

فصل :

وقال الجوهري: المعلم: الأثر الذي يستدل به على الطريق، أي: كلها سواء^(١).

فصل :

أحاديث الباب دالة على أن الرب جل جلاله يفني جميع خلقه أجمع، كما سلف في حديث أبي هريرة وغيره، وقيل: إن المنادي ينادي بعد حشر الخلق على أرض بيضاء مثل الفضة، لم يعص الله عليها: لمن الملك اليوم؟ فيجيبه العباد: لله الواحد القهار. رواه أبو وائل، عن ابن مسعود رضي الله عنه.

قال القرطبي: وليس هو مما يؤخذ بالقياس ولا بالتأويل، والقول الأول أظهر؛ لأن المقصود إظهار أنفراده تعالى بالملك عند أنقطاع دعاوى المدعين، وانتساب المنتسبين، إذ قد ذهب كل ملك وملكه، وكل

﴿قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ٧٣]، والنعمة، تقول: كم يد لك عند فلان. أي: كم من نعمة أسديتها إليه. والصلة، ومنه: ﴿مِمَّا عَمِلْتَ أَيْدِيًا أَنْعَمًا﴾ [يس: ٧١] أي: مما عملنا نحن، وقال تعالى: ﴿أَوْ يَغْفُوا الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ﴾ [البقرة: ٢٣٧] أي: له النكاح. والجارحة، ومنه: ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا﴾ [ص: ٤٤]. قلت: ولليد معان أخر: الذل، ومنه: ﴿حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ﴾ [التوبة: ٢٩] قال الهروي: أي عن ذل واعتراف أن دين الله عال على دينهم، وقوله: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح

لا آتية الدهر كله، ولقيته أول ذات يدي، أي: أول شيء. وحكى اللحياني: أول ذات يدي، فإني أحمد الله، وفي «المغيث»: وفي الحديث: «اجعل الفساق يدًا يدًا، ورجلاً رجلاً» أي: فرق بينهما في الهجرة^(١). واتبعت (الغنم)^(٢) باليدين، أي: بيمينين مختلفين، بعضها بيمين، وبعضها بيمين آخر، ويد الثوب: ما فضل منه إذا تغطيت به والتحفت.

وعند القزاز: وأعطاه عن ظهر يد، أي ابتداءً لا عن بيع، ولا عن مكافأة، ويد الشيء: أمامه، ويقال لمن أتى شيئاً: قد ألقى يده في كذا، وهذا عيش يد، أي: واسع.

وفي «المغرب»: بايعته يدًا بيد،

فإن قلت: فقد جاء في الحديث: «يقبض أصابعه ويبسطها»^(١).
وهذه صفة الجارحة.

فالجواب:

أن هذا مذهب المجسمة من اليهود والحشوية، تعالى الله عن ذلك،
وإنما المعنى حكاية الصحابي عن رسول الله ﷺ: يقبض أصابعه
ويبسطها. وليس اليد في الصفات بمعنى الجارحة حتّى يتوهم بثبوتها
ثبوت الأصابع، فدل على أنه عليه السلام هو الذي يقبض أصابعه ويبسطها.
وذكر الأصابع لم يوجد في شيء من الكتاب والسنة المقطوع بصحتها.

فإن قلت: قد ورد ذكر الإصبع في غير ما حديث كحديث
الصحيحين، أنه عليه السلام أتاه رجل من أهل الكتاب

بمعنى القدرة على الشيء ويسر تقلبيه، وهو كثير في كلامهم^(١).

(١) هذا الكلام مخالف لمذهب السلف - كما سبق بيان ذلك - حيث إن مذهبهم الإيمان بصفات الله، من غير تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل ولا تأويل؛ ولكن يَمرونها كما جاءت، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: فهل يجوز أن يملأ الكتاب والسنة من ذكر اليد، وأن الله تعالى خلق بيده، وأن يدها مبسوطتان، وأن الملك بيده، وفي الحديث ما لا يحصى، ثم إن رسول الله ﷺ وأولي الأمر لا يبينون للناس أن هذا الكلام لا يراد به حقيقة ولا ظاهره، حتى ينشأ جهم بن صفوان بعد أنقراض عصر الصحابة فيبين للناس ما نزل إليهم على نبيهم، ويتبعه عليه بشر بن غياث، ومن سلك سبيلهم، وكيف يجوز أن يعلمنا نبينا ﷺ كل شيء، ثم يترك

فلما كانت السماوات والأرض أعظم الموجودات قدرًا، وأكثرها خلقًا، كان إمساكها بالنسبة إلى الله كالشيء الحقير الذي نجعله نحن بين أصابعنا، ونتصرف فيه كيف شئنا، فتكون الإشارة بقوله: «ثم يقبض أصابعه، ويبسطها، ثم يهزهن» كما في بعض ألفاظ مسلم^(١). أي: هذه في قدرته كالحبة (مثلاً)^(٢) في كف أحدنا التي لا يبالي بإمساكها، ولا بهزها، ولا بحركتها، والقبض والبسط عليها، ولا يجد في ذلك صعوبة ولا مشقة، وقد تكون الإصبع في كلام العرب بمعنى: النعمة، وهو المراد بقوله: «إن قلوب بني آدم بين إصبعين من أصابع الرحمن» أي: بين نعمتين من نعمه، يقال: لفلان عليّ إصبع. أي: أثر حسن إذا أنعم عليه نعمة حسنة، وللراعي على ماشيته إصبع: أي أثر حسن، وفيه عدة أشعار.

ورواه أيضًا أبو هريرة وغيره عن رسول الله ﷺ، ولم يذكر واحد منهم الشمال.

وقال البيهقي: روي ذكر الشمال في حديث آخر في غير هذه القصة، إلا أنه ضعيف بمرة، وكيف يصح ذلك مع ما صح عنه أنه سمي كلتا يديه يميناً^(١)، وكأن من قال ذلك أرسله من لفظه على ما وقع له إذ عادة العرب ذكرها في مقابلة اليمين^(٢).

قال الخطابي: ليس فيما يضاف إلى الله تعالى من صفة اليد شمال؛ لأن الشمال محل النقص والضعف، وليس معنى اليد عندنا الجارحة، وإنما هي صفة جاء بها التوقيف، فنحن نطلقها على ما جاءت، وننتهي إلى حيث أنتهى بها الكتاب والسنة المأثورة الصحيحة، وهو مذهب أهل السنة والجماعة، وقد تكون اليمين في كلام العرب بمعنى القدرة والملك، ومنه

الصراط، كما رواه مسلم من حديث عائشة رضي الله عنها^(١). وفي رواية ثوبان عنده أيضًا: هم في الظلمة دون الجسر^(٢). وهذا نص على أن الأرض والسماء تبدل وتزال، ويخلق الله أرضًا أخرى يكون عليها الناس بعد كونهم على الصراط، كما قال كثير من الناس: إن تبديل الأرض عبارة عن تغيير صفاتها، (وتسوية)^(٣) آكامها، ونسف جبالها، ومد أرضها.

فصل :

قد سلف حديث سهل عند البخاري: «أرض بيضاء عفراء كقرصة نقي».

وروى البيهقي من حديث أبي إسحاق، عن جرير بن أيوب، عن عمرو بن ميمون، سمعت ابن مسعود رضي الله

قال البيهقي: كذا رواه جرير بن أيوب، وليس بالقوي، وخالفه أصحاب أبي إسحاق، فرواه إسرائيل عنه موقوفاً على عبد الله، ورواه شعبة، عن أبي إسحاق، عن عمرو بن ميمون - قال مرة عن عبد الله - ولم يجاوز به عمرو بن ميمون، كذا رواه الثوري، عن أبي إسحاق، عن عمرو. ومن حديث ابن مسعود وابن عباس قالا: «تبدل الأرض أرضاً بيضاء كالفضة، لم يسفك عليها دم حرام، ولم يعمل عليها خطيئة قط»^(١).

وعن ابن مسعود أيضاً: «تبدل الأرض ناراً، والجنة من ورائها ترى أكوابها وكواعبها»^(٢)، وقال أبو الجلد جيلان بن فروة: إني لأجد فيما أقرأ من كتب الله أن الأرض تشتعل ناراً يوم القيامة. وقال علي: تبدل الأرض فضة، والسماء ذهباً^(٣). وقال أبو جعفر محمد بن علي بن حسين: تبدل خبزة يأكل منها الخلق يوم القيامة، ثم قرأ

وروى ابن المبارك من حديث شهر بن حوشب قال: حَدَّثَنِي ابن عباس رضي الله عنهما قال: إذا كان يوم القيامة مدت الأرض مد الأديم، وزيد في سعتها كذا وكذا، وجمع الخلائق في صعيد واحد، ثم ذكر قبض السماوات على أهلها^(١).

وفي رواية ابن السائب عن أبي صالح عنه، وسئل عن هذه الآية فقال: يزداد فيها وينقص منها، وتذهب آكامها وجبالها وأوديتها وشجرها وما فيها، وتمد مد الأديم العكاظي، أرض بيضاء مثل البيضة، لم يسفك عليها دم حرام، ولم يعمل عليها خطيئة، والسماوات يذهب شمسها، وقمرها، ونجومها^(٢). وقد يقال: السماوات مستأنفة لا يبدل منها شيء، (ويقال: تبدل)^(٣) فتذهب، وتجعل سماء أخرى غيرها.

وروي عن علي بن حسين أنه قال: إذا كان يوم القيامة مد الله الأرض مد الأديم حتّى لا يكون لأحد من البشر إلا موضع قدميه، ذكره الماوردي في «تفسيره»^(١).

والصواب ما أسلفناه؛ فإن قلت: (بدل) في كلام العرب معناه: تغيير الشيء، ومنه: ﴿بَدَلْنَهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ [النساء: ٥٦]، و﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾ [البقرة: ٥٩]، ولا يقتضي هذا إزالة العين، وإنما معناه: تغيير الصفة، ولو كان المعنى الإزالة لقال: تبدل بالتخفيف من: أبدلت الشيء: إذا أزلت عينه وشخصه، قيل: قد قرئ قوله تعالى

وقال كعب: تصوير السماء دخاناً، وتصوير البحار نيراناً، وقيل: تبديلها: أن تطوى كطي السجل للكتاب^(١)، ذكر ابن حيدرة شبيب في «إفصاحه» أنه لا تعارض بين هذه الآثار، وأن الأرض والسموات تبدل كرتين هذه الأولى، وأنه سبحانه قبل نفخة الصعق يغير صفاتها، فتنتثر أولاً كواكبها، وتكسف شمسها وقمرها وتصير كالمهل، ثم يكشف عن رؤوسهم، ثم تسير الجبال، ثم تموج الأرض، ثم تصوير البحار نيراناً، ثم تنشق الأرض من قطر إلى قطر؛ فتصير الهيئة غير الهيئة، والبنية غير البنية، ثم إذا نفخ في الصور نفخة الصعق طويت السماء، ودحيت الأرض، وبدلت السماء سماء أخرى، وهو قوله ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ [الزمر: ٦٩] وبدلت الأرض وأعيدت كما كانت فيها القب

أهل الجنان من وراء الصراط، وأهل النيران في النار، وقام الناس على حياض الأنبياء يشربون، وبدلت الأرض كقرصة نقي؛ فأكلوا من تحت أرجلهم، وعند دخولهم الجنة كانت خبزة واحدة يأكل منها جميع (الخلق)^(١) ممن دخل الجنة وإدامهم زيادة كبد (ثور الجنة، وزيادة كبد)^(٢) النون^(٣).

وفي حديث ثوبان مرفوعاً الثابت في مسلم: «تحفتهم يوم يدخلون الجنة زيادة كبد النون». قال: ما غذاؤهم على إثرها؟ قال: «ينحر لهم ثور الجنة الذي كان يأكل من أطرافها» قال: فما شرابهم على إثرها؟ قال: «من عين فيها تسمى سلسبيل»^(٤). وهذا أبين من حديث أبي هريرة (الذي أخرجه البخاري في الباب؛ لأن هذا مرفوع، وذلك آخره من قول اليهودي)^(٥)، وهو داخل في المسند لإقراره عليه السلام إياه على ذلك.

ذكر فيه أحاديث: أحدها:

حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: «يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى ثَلَاثِ طَرَائِقَ. رَاغِبِينَ رَاهِبِينَ، وَاثْنَانِ عَلَى بَعِيرٍ، وَثَلَاثَةٌ عَلَى بَعِيرٍ، وَأَرْبَعَةٌ عَلَى بَعِيرٍ، وَعَشْرَةٌ عَلَى بَعِيرٍ، وَيُحْشَرُ بِقِيَّتِهِمُ النَّارُ ثَقِيلٌ مَعَهُمْ حَيْثُ قَالُوا، وَتَبِيتُ مَعَهُمْ حَيْثُ بَاتُوا، وَتُصْبِحُ مَعَهُمْ حَيْثُ أَصْبَحُوا، وَتُمْسِي مَعَهُمْ حَيْثُ أَمْسَوْا».

وحديث أنس سلف في تفسير الفرقان^(١).

قال الخطابي: والمذكور هنا في الحشر إنما يكون قبل قيام الساعة، يحشر الناس أحياء إلى الشام، وأما الحشر الذي بعد البعث من القبور فعلى خلاف هذه الصورة، من ركوب الإبل، والمعاقبة عليها، إنما هو على ما ورد في الخبر: «يبعثون حفاة غرلاً» قال: وقيل: إن هذا في البعث دون الحشر، فليس بين الحديثين تضاد، قال: وقوله: («عشرة على بعير») يعني أنهم يعتقبون البعير الواحد يركب بعضهم، ويمشي (الباقون)^(٢) عقباً بينهم^(٣).

وقال الداودي: يحملون على قدر أعمالهم، والاثنان على البعير أفضل من الثلاثة، والثلاثة أفضل من أكثر منهم. وقوله: («تقيل معهم حيث قالوا») إلى آخره يدل

وقال قتادة في تفسير (الآية) ^(١) بل هو حقيقة ^(٢) ، وظاهر الحديث هنا حجة له .

وقوله : («غَرَلًا») أي : غلفًا غير مختونين ، غلام أغرل ، أي : أقلف ، والغرلة : القلفة .

وقوله : («يُهمهم») هو بضم أوله ، يقال : أهتمني الأمر : أحزنني ، وأقلقني ، وهمني المرض : أذابني ، وهممت بالشئ : إذا أردته . قال ابن التين : روينا بالضم على أنه رباعي من : أهتمني الأمر ، أي : أقلقني ، وفي بعض الروايات بفتحها لعله من : همني المرض إذا أذابني ، والأول أب

فصل :

وقوله : («في قبة») إنما كان ذلك يفعل في السفر .
 وقوله : («أترضون») إلى آخره خرج مخرج الاستفهام ، وأريد به
 البشرى ، وبشر بالأقل بالأول ، ثم بالأكثر ليعلم سرورهم .

فصل :

قوله : («كالشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود») وفي الحديث
 الآتي في الباب بعده ، أو «كالرقمة في ذراع الحمار»^(١) ، فالشعرة
 على التقليل والتكثير ؛ لأنه لا يكون ثورًا ليس في جلده إلا مائة
 شعرة ، والرقمة : يحتمل أن تكون على الحقيقة .

قال ابن عباس: من شك في أن الحشر في الشام فليقرأ هذه الآية، وذلك أنه عليه السلام قال لهم: «اخرجوا» قالوا: إلى أين؟ قال: «إلى أرض المحشر»^(١) قال قتادة: هذا أول الحشر^(٢).

الثاني: ما رواه البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في الباب، وقال قتادة: إنه نار تحشرهم كما سلف.

قال عياض: هذا قبل قيام الساعة، وهو آخر أشراتها كما ذكره مسلم، وآخر ذلك نار تخرج من قعر عدن ترحل الناس. وفي رواية: تطرد الناس إلى محشرهم، وفي حديث آخر: «لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز»^(٣) ويدل أنها قبل يوم القيامة قوله: «فتقيل معهم» إلى آخره، وفي رواية لغير مسلم: «إذا سمعتم بها فا

وأما الفجار: فهم المحشورون إلى النار، وذلك أن الله تعالى يبعث إليهم ملائكة؛ فيقيض لهم نارًا تسوقهم، ولم يرد في هذا الحديث إلا ذكر البعير، فإما أن يكون ذلك من إبل الجنة أو من الإبل التي تجيء وتحشر يوم القيامة، فهذا ما لم يأت بيانه، والأشبه أن لا يكون من نجائب الجنة؛ لأنه حملها الأبرار وكان مع ذلك من جملة المؤمنين فإنهم بين الخوف والرجاء؛ لأن من هؤلاء من يغفر الله ذنوبه؛ فيدخل الجنة، ومنهم من يعاقبه بالنار، ثم يخرجهم (منها)^(١)، ويدخله الجنة، وإذا كان كذلك لم يبق أن يردوا موقف الحساب على نجائب الجنة، ثم ينزل عنها بعضهم إلى النار؛ لأن من أكرمه الله بالجنة مرة لم يهنه بعد ذلك بالنار.

وفي لفظ: عن أبي هريرة رضي الله عنه، وذكر الحشر، «أما إنهم يتقون بوجوههم كل حذب وشوك»^{(٢}

وأما ما ورد من حشرهم حفاة عراة غرلاً ففي وقت النشور من القبور، ويحتمل أن يكون هذا معنى قوله: «راغبون وراهبون» في وقت حشرهم إلى الجنة بعد الفراغ من الحساب، والأول أولى.

والصنف الثاني: الذين يعذبهم الله بذنوبهم ثم يخرجهم من النار إلى الجنة، وهؤلاء يكونون مشاة على أقدامهم، وقد يحتمل على هذا أن يمشوا وقتاً ويركبون ثم يركبون أو يكونوا ركباناً، فإذا قاربوا المحشر نزلوا فمشوا ليتفق الحديثان.

والصنف الثالث: المشاة على وجوههم، وهم الكفار، وقد يحتمل أن يكونوا ثلاثة أصناف: صنف مسلمون، وهم ركبان، وصنفان من الكفار، أحدهما: الأعلام، فهؤلاء يحشرون على وجوههم، والآخر: الأتباع فهم يمشون على أقدامهم، وإلى

يصنع؟ قال: «ورث من أبيه مالا كثيرا فاشترى بستانا؛ فحبسه للملائكة، وقال: هذا بستانى عند الله، وفرق دنائير (عديدة)^(١) في الضعفاء، وقال: أشتري بهذا جارية من الله وعبدًا، وأعتق رقابًا كثيرة، وقال: هؤلاء خدمي عند الله، والتفت ذات يوم إلى رجل ضرير البصر فرآه تارة يمشي، وتارة يكبو فابتاع له مطية يسير عليها، وقال: هذه مطيتي عند الله أركبها، وقال: والذي نفسي بيده لكأنى أنظر إليها وقد جيء بها إليه مسرجة ملجمة فركبها ليسير بها إلى الموقف».

وكان ما ذكره عياض من أن ذلك في الدنيا أظهر لما في نفس الحديث من ذكر المساء، والمبيت، والقائلة، والصبح

الظهر فلا يبقى، حَتَّىٰ إن الرجل لتكون له الحديقة يغطيها نبات القتب فلا يقدر عليها»^(١). قال البيهقي: يحتمل أن يكون أراد بالفوج الثاني: المسلمين الذين خلطوا عملاً صالحاً، وآخر سيئاً، فيكونون مشاة، والأبرار ركباً^(٢).

فصل :

روى أبو زيد عمر بن شبة في كتابه «أخبار المدينة» عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: آخر من يحشر رجلان رجل من جهينة، وآخر من مزينة، فيقولان: أين الناس؟ فيأتیان المدينة فلا يريان إلا الثعالب، فينزل إليهما ملكان يسحبانهما على وجوههما حَتَّىٰ يلحقاهما بالناس^(٣).

ولا فريضة، ولا يعملون بكتاب ولا سنة، يتهارجون هم والجن مائة سنة تهارج الحمر والكلاب، وأول ما يفجأ الناس بعد من أمر الساعة أن يبعث الله ليلاً ريحاً فتقبض كل دينار ودرهم، فتذهب به إلى بيت المقدس، ثم يشق الله بنيان بيت المقدس فينبذه في البحيرة^(١).

وعن عكرمة قال: يحشر الناس نحو الشام، وأول من يحشر من هذه الأمة النضير^(٢) وكله دال على أنه في الدنيا كما سلف، وأما في الآخرة فحالهم مختلف كما مر.

فصل :

والصنف الآخر حشرهم إلى الموقف، قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾ [٨٥]

يدخلون الجنة قبل الآخرين بأربعين عاماً، وإن أهل المدائن يدخلون الجنة قبل أهل الرساتيق بأربعين عاماً لفضل المدائن بالجمعة والجماعات وحلق الذكر، وإذا كان بلاءً خصوا به دونهم»^(١).

فصل :

وسمى المتقين وفداً لأنهم يسبقون الناس إلى حيث يدعون إليه، فهم لا ينتظرون أحداً لكنهم يجدون ويسرعون، والملائكة تتلقاهم بالبشارات، كما قال تعالى: ﴿وَنَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٣] فيزيدهم ذلك إسراعاً، وحق للمتقين أن يسبقوا لسبق

﴿أَحْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ﴾ الآية [الصافات: ٢٢]، ومعنى: أهدوهم: دلوهم، ولا دلالة لأعمى أصم، ولا سؤال لأبكم، فيثبت بهذا أنهم يكونون بأبصار وأسماع وألسنة ناطقة.

والثالثة: ويكونون فيها أيضًا كاملي الحواس؛ ليسمعوا ما يقال لهم، ويقرءوا كتبهم الناطقة بأعمالهم، وتشهد عليهم جوارحهم بسيئاتهم ويسمعوها، وقد أخبر الله عنهم أنهم يقولون: ﴿مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ﴾ الآية [الكهف: ٤٩]، وأنهم يقولون لجلودهم: ﴿لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا﴾ [فصلت: ٢١] وليشاهدوا أحوال القيامة، وما كانوا مكذبين به في الدنيا من

يستغشون ثيابهم تستراً منه لئلا يروه، ولا يسمعون كلامه، وقد أخبر الله عن الكفار في نبينا مثله، فقال: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَنْتُونُ صُدُورَهُمْ﴾ الآية [هود: ٥]، وإن سلب أبصارهم فلأنهم أبصروا العبر فلم يعتبروا، والنطق فلأنهم أوتوه فكفروا، وقد تقدم طرف من هذا في ذكر آدم عليه أفضل الصلاة والسلام.



قال ابن عبد البر: وهذا إجماع من العلماء وسنة مسنونة؛ لأنه عليه السلام لم يرحم الحامل المعترفة بالزنا حتى وضعت.
وسئل مالك عن جنين اليهودية أو النصرانية يطرح، فقال: أنا أرى فيه عشر دية أمه.

وهو قول الشافعي، وأما أبو حنيفة فقال: هو كجنين المسلمة سواء، وهو قول الأوزاعي.

واختلفوا في الجنين يخرج من بطن أمه ميتًا، وقد ماتت من ضرب بطنها، فقال مالك والشافعي وأصحابهما: لا شيء فيه من غرة ولا غيرها إذا ألقته بعد موتها ميتًا، وقال ربيعة والليث: فيه الغرة، روي ذلك عن الزهري.

قال أبو عمر: وهو قول أشهب في هذا كقول الليث، وقد أجمعوا أنها لو ماتت من الضرب ولم تلق الجنين أنه لا شيء فيه.
وكذلك (أحمد)^(١): أنه لو ضرب بطن امرأة ميتة، فألقت جنينًا ميتًا لا شيء فيه^(٢).

فصل :

ترجم البخاري على هذا في الديات باب: جنين المرأة، وباب: جنين المرأة وأن العقل على الوالد وعصبة الوالد لا على الولد، (وسياتي كلام ابن بطال في هذه الترجمة).

وقال الإسماعيلي: ليس فيه إيجاب العقل على الوالد، فإن أراد الوالدة التي كانت هي الجانية، فقد يكون الحكم عليها وإذا ماتت

(١) كذا بالأصل، وفي «الاستذكار» ٨٨/٢٥: (أجمعوا) ولعله الصواب.

(٢) «الاستذكار» ٨٤-٨٨، بتصرف.

أو عاشت^(١) فالعقل على عصبتها، وفي هذا بيان إخراج الأب من العصبية، وذكر في الأول حديث عمر في إملاص المرأة وهو بالصاد المهملة، وهو أن يزلق الجنين قبل وقت الولادة، وكل ما زلق من اليد فقد ملص وأملص وأملصته أنا.

قال أبو عبيد^(٢): وهو إلقاء المرأة جنينها ميتًا، يقال فيه: أملصت المرأة إملاصًا وإنما سمي بذلك؛ لأنها تزلقه، ولهذا قيل: أملصت^(٣) الناقة وغيرها، وكل شيء زلق من يدك فقد ملص (يملص ملصًا)^(٤) وأملصته إملاصًا^(٥).

وفي «المحكم»: أملصت: ألقت الناقة والمرأة ولدها بغير تمام، والجمع مألص بالياء، فإذا كان ذلك لها عادة فهي مملاص، والولد مملص ومليص، وملص الشيء من يدي ملصًا فهو أملص (وملص)^(٦)، ومليص وتملص زلًّا؛ لملاسته، وخص به اللحياني الرشاء والعنان والحبل^(٧).

وقال الجوهري: الملص بالتحريك: الزلق، وقد ملص الشيء من يدي بالكسر يملص، وانملص الشيء: أفلت، وتدغم النون في الميم^(٨).

(١) من (ص ٢).

(٢) في الأصل: عبدة، ولعل الصواب ما أثبتناه فهو في «غريب الحديث» لأبي عبدة كما في التخريج التالي.

(٣) من «غريب الحديث» وغير واضحة في الأصل، وتشبه: أزلقت.

(٤) من (ص ٢).

(٥) «غريب الحديث» ٩٨/٢.

(٦) من (ص ٢).

(٧) «المحكم» ٢٢٣/٨.

(٨) «الصحيح» ١٠٥٧/٣.

وقال القزاز: المَلَص مصدر ملص الشيء يملص ملصًا؛ إذا سقط متزلجًا: فهو ملص، وكل شيء زلق من يدك فهو ملص، قالوا: والإملاص: أن تلقي الجنين ميتًا، والوليد مليص، وهو أحد ما جاء على فاعل من أفعَلَ.

قال المطرزي في «المُغْرِب»: ومن فسر الإملاص بالجنين فقد سها^(١)، وقال الداودي: الإملاص: السقط مثلث السين.

(١) «المغرب» ٢/ ٢٧٤.

